المبحث الثالث

عواقب الغزو السوفييتي

في نهاية الحرب العالمية الثانية، بدأ السوفييت يعلنون عن مطالب سياسية لا سيما المتعلق منها بتعديلات في الحدود مع تركيا وفتح المضايق أمام الملاحة البحرية، والمشاركة في الوصاية السياسية على كل من أرتيريا وليبيا. ولكن الهموم الداخلية في الاتحاد السوفييتي كانت كبيرة، منها قيادة الدولة نفسها، ومشاكل أوروبا الشرقية ومساعدة الصين على ربح معركتها الأهلية[1].

في الولايات المتحدة الأمريكية، لم يكن الأمر كذلك، فقد كان «روزفلت» في عام ١٩٤٦ يبحث مع مستشاريه، كيفية الوصول إلى استراتيجية عسكرية وسياسية خاصة بها تمكنه من قيادة المعسكر الغربي كله، وكان لهذا أسبابه منها، أن الولايات المتحدة قوة اقتصادية بدون منافس، كما أن شعبها ظل في مأمن من دمار الحربين الأولى والثانية، وليس كما حدث لأوروبا والاتحاد السوفييتي والخسائر التي طالت المدنيين من جراء القصف اليومي بالطائرات[2].

بعد موت روزفلت، وتولي ترومان رئاسة الولايات المتحدة، كان الهدف أمامه وأمام جورج كيتان (من أكبر المنظرين الستراتيجيين) ووزير الخارجية جورج مارشال، الوصول إلى وضع الأسس الأولى لستراتيجية الولايات المتحدة وهي: حماية الولايات المتحدة ونظام حياتها وديمقراطيتها، والوقوف في وجه الاتحاد السوفييتي وحصره، وكذلك حماية الديمقراطيات في العالم[3].

---

(١) محمد عدنان مراد، مراجعة شهيرة مراد، صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي، دمشق، ١٩٨٤، ص٤٩٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٩٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٩٩.

فالأمريكان يكرهون الشيوعية، لأنها تنافي مبادئهم ونظام حياتهم الحرة غير المقيدة، والكراهية ليست نابعة فقط من كراهيتهم للمبدأ الشيوعي والشيوعية كنظرية، بل لاعتقادهم بعدم الفصل بين الشيوعية كمبدأ والاتحاد السوفييتي كدولة، والواحد منهما يكمل الآخر[1].

في الجانب الآخر وهو المهم، فقد رأى الأمريكان وحلفاءهم الغربيين أن السوفييت وعبر قراءة تاريخهم الطويل يريدون التوسع خارج حدودهم، ووجدوا أن هناك تنازلات قدمت لهم بعد الحرب عندما وضعوا دول البلطيق الشمالية وقسماً من بولونيا ورومانيا ضمن حدودهم، ولذلك ينبغي التصدي له ومنعه من الامتداد وحصره في حدوده[2].

استغلت الولايات المتحدة اقتصادها القوي على حساب الوضع التجاري المنهار في العالم بعد الحرب، لتضع إمكانياتها في خدمة سياستها الخارجية، فوقف الرئيس الأمريكي ترومان في ١٦ آذار ١٩٤٧ ليقول «نحن عمالقة العالم في الاقتصاد إن كان هذا يَسر أو يسيء لنا أو لأعداءنا وإلينا سيعود تنظيم العلاقات الاقتصادية في المستقبل، فالعالم ينتظر ويراقب ماذا علينا أن نعمل وعلينا نحن أن نقرر فيما إذا كنا نستطيع قيادة الأمم نحو السلام أو نوقعه في خضم حرب اقتصادية»[3].

كانت منطقة الشرق الأوسط العصا السحرية للأمريكان نظراً لموقع هذه الدول بين قارات العالم الثلاث، وعقده للمواصلات البحرية والجوية والبرية، كما أنه أقرب طريق ما بين الغرب والشرق الأقصى. والأهم في ذلك هو ما تحويه هذه المنطقة من

---

(١) محمد عدنان مراد، المصدر السابق، ص٤٩٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٠٢.

(٣) المصدر نفسه ص٥٠٦، يرى ترومان أن وجود إسرائيل لكي تتصدى لتيار النعره الوطنية، فإن لم تستطع فعلى الأقل أن تجذبه بعيداً عن مصالح البترول الأمريكي في الشرق، وهذا ما يحدث حالياً، حيث تقف إسرائيل بوجه كل جهد عربي يريد التفكير بالوحدة أو كان يريد تنمية اقتصادية.

موارد نفطية هائلة وقربها من الاتحاد السوفييتي. فنشطت الشركات الأمريكية العملاقة مثل أرامكو للتنقيب وإنتاج النفط في السعودية وبسبب النفط اشتركت أمريكا وباركت إنشاء دولة إسرائيل في قلب العرب[1] ومن أجل النفط سقط مصدق وأعيد الشاه إلى إيران ومن أجل النفط اشترك البريطانيون بإخماد ثورة الإمامة ضد سعيد بن تيمور واحتلت بريطانيا البريمي وأبعد شيخ شحبوط[2]. ومن أجل النفط كانت حرب عبد الناصر عام ١٩٥٦بين مصر ودول العدوان الثلاثي (بريطانيا، فرنسا، إسرائيل).

من جدير بالذكر أن القادة الألمان نصحوا القيادة الأمريكية بعد الحرب نتيجة لخبرتهم في قتال الاتحاد السوفييتي «أن يخططوا في حرب مقبلة للوصول إلى قلب الاتحاد السوفييتي ليس عن طريق أوروبا الطويل والمملوء بالعقبات بل عن طريق الشرق الأوسط وبالتحديد عن طريق إيران، تركيا، الباكستان لقصر المسافة التي تمكنهم من الوصول بسرعة إلى المراكز الاستراتيجية والصناعية ما وراء الأورال وفصل القسم الأوروبي من الاتحاد السوفييتي عن القسم الأسيوي ذو القوميات والجنسيات التي يمكنها الانضمام للحلفاء تخلصاً من نيران الشيوعية، وإبعاد كل خطر سوفيتي عن الشرق الأوسط والخليج»[3] ونعتقد أن هذه الوصية بالغة الحكمة لعقل طالما تميز بالابتكار والمرونة أثناء الحرب العالمية، ولكن يعاب عليه أنه صنع الدمار للبشرية بدلاً من خدمتها على طريق الرفاه والحرية.

واعتقد العقل الأمريكي بهذه التوصيات الغالية، فكان هناك سلسلة من الأحلاف والقواعد التي تحيط بالاتحاد السوفييتي ودول أوروبا الشرقية يمكنها أن تضرب في قلب وجنوب الاتحاد السوفييتي وغربه، لتحمي المصالح النفطية من أي

---

(١) محمد عدنان مراد، المصدر السابق، ص٥٠٧.

(٢) محمد عدنان مراد، المصدر السابق، ص٥٠٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٥١٨.

هجوم سوفيتي، وكذلك إفشال أي مسيرة نحو الوحدة الوطنية بين أقطار المنطقة والعرب على وجه الخصوص[١].

يقول الرئيس الأمريكي كارتر بعد الغزو السوفييتي لأفغانستان في كانون أول ١٩٧٩، يجب علينا أن نأخذ بجدية إمكانية حدوث المزيد من التحركات السوفييتية، وقد عبّرت الشعوب في هذه المنطقة منذ وقت طويل من أنَّ الأهداف السوفييتة تمكن في الحصول على ممر إلى المياه الدافئة عبر بلوخستان أو التحرك إلى الخليج للسيطرة على موارد النفط[٢].

إن التواجد العسكري السوفييتي في أفغانستان أدى إلى جعل العلاقات السوفييتية الباكستانية بحالة إرباك والخشية من أن تكون القفزة الأخرى باجتياح باكستان عسكرياً بغية وضع حد للعلاقات الإسلامية التي تجمع القبائل على الحدود المشتركة والمناهضة للوجود الشيوعي[٣].

وفي حديث (لبريجنسكي) مستشار كارتر لشؤون الأمن القومي، إلى مجلة (لانوفيل أوبسر فاتور) الفرنسية، من أن أمريكا بدأت تساعد المجاهدين الأفغان بشكل مكثف قبل ستة شهور من دخول الجيش السوفييتي إلى ذلك البلد، فكان جوابه، نعم ولكن الولايات المتحدة لم تدخل بثقلها إلا سنة ١٩٨٠، ثم يستطرد بقوله «إنني في يوم الثالث من تموز ١٩٧٩ عملت على إصدار توجيه رئاسي من كارتر بتقديم كل المساعدات الممكنة إلى العناصر المعادية للسوفيت في كابل، وفي ذلك اليوم كتبت للرئيس مذكرة قلت فيها «إن موقف السوفييت يزداد صعوبة في أفغانستان مع كل يوم، وأعتقد أننا إذا رفعنا الضغط درجة فإن السوفييت سوف يرغمون على

---

(١) المصدر السابق، ص٥١٨.

(٢) محمد عدنان مراد، المصدر السابق،ص٥١٨.

(٣) اسماعيل صبري مقلد، العلاقات الأمريكية السوفييتية، مشكلات الأمن والتسلح في الثمانينات الكويت، ١٩٨٧، ص٢٢٦؛ إحسان حقي، المصدر السابق، ص١٦٣.

التدخل عسكرياً ومباشرة في أفغانستان[1]. ويوم تدخل السوفييت بجيشهم كتبت إلى الرئيس كارتر مذكرة قلت فيها «أن أمامنا الفرصة الآن لكي نجعل الاتحاد السوفييتي يذوق مرارة الكأس التي شربناها في فيتنام، والحقيقة أننا ولمدة عشر سنوات جعلنا الروس ينزفون دماً ولا يستنزفون جهداً فقط، فهم حين دخلوا تضرروا باقتصادهم وأرهقوا سلاحهم وأضعفوا معنويات جنودهم وتضررت بهيبتهم، وقد أدى ذلك في النهاية إلى تمزيق الإمبراطورية السوفييتية[2].

بعد مرور أربع ساعات ونصف من بدء الغزو السوفييتي، كان الرئيس الأمريكي كارتر ينتظر (بريجنسكي)، وسأله الرئيس عن تقديره لنوايا السوفييت، وكان جوابه، سيادة الرئيس، نحن أمام جيش سوفيتي يزحف جنوباً في أفغانستان، وأفغانستان هي أقرب طريق للسوفييت إلى المحيط والخليج، ونحن لا نستطيع على الإطلاق وبضمير مستريح أن نقطع بأنهم لن يذهبوا إلى أبعد من أفغانستان، وحتى من أفغانستان فإنهم اقتربوا أكثر مما ينبغي من المياه الدافئة للمحيط الهندي ومن منابع النفط في الخليج، وذلك يدعونا إلى التصرف، والتصرف يكون له هدفان، الأول: إيقاف السوفييت ومنعهم من التقدم لأبعد من أفغانستان، والثاني: هو إرغامهم على التراجع والخروج من أفغانستان. ويستطرد بريجنسكي، إن الروس وقعوا في الفخ وتلك فرصتنا لكي نرد لهم جميل فيتنام[3]. وفي ختام الاجتماع الذي حضره مدير وكالة المخابرات الأمريكية ستانسفيلد تيريز، وسايروس فانس وزير الخارجية وجدوا أن اجتماع مجلس الأمن القومي قد استقر على الخطوط الآتية:

---

(١) هدى الهاشمي، تدخل C.I.A في أفغانستان سبق الدخول السوفييتي، مجلة الحكمة العدد ٢٨ آب، ٢٠٠٢، بغداد، ص٢٤.

(٢) محمد حسنين هيكل، كلام في السياسة، المصدر السابق، ص٢٤٢.

(٣) جيمس كيرن، وفيليب كارير، المصدر السابق، ص٢٣٥.

أ. أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تستطيع أن تدخل الصراع القائم بصورة فعلية ضد السوفييت خشية أن يؤدي ذلك إلى صدام مباشر، كما لا يمكن التكهن بردود فعل السوفييت، مما يتطلب وجود قيادة بديلة لإدارة الصراع.

ب. إن المملكة العربية السعودية وثقلها الإسلامي والمادي يمكن أن تتكفل في مواجهة الإلحاد الشيوعي الذي يمثله السوفييت. ولأجل معاونة المملكة وتخلصها من الحرج أمام الآخرين، فقد رأت الولايات المتحدة من إشراك مصر السادات داعمةً لتجمع إسلامي يخوض الجهاد دفاعاً عن الدين. وكان السادات مستعداً لذلك اعتقاداً منه أن معظم أوراق حل مشكلة الشرق الأوسط هي بيد الولايات المتحدة[1].

ج. إن المخابرات الأمريكية متعاونة مع المخابرات الباكستانية في دور سابق على شكل إدارة عمليات حرب نفسية هدفها إثارة المشاعر المعادية للاتحاد السوفييتي داخل جمهورياته الجنوبية ذو الغالبية المسلمة التي تجد اختلافاً كبيراً بين تفكير القيادة السوفييتية وفلسفتها المادية وبين الإسلام الروحاني في مبادئه، فكان القرار هذه المرة أن تكون باكستان اللاعب الرئيسي على شكل قاعدة للعمليات في أفغانستان[2]. أما السلاح الذي يجب أن تزود بها مجموعات المقاومة الأفغانية، فكان رأي بريجنسكي أن يكون سوفيتي الصنع حتى يصعب اتهام الولايات المتحدة، ويجب أن نحصل عليه من أي مكان، نشتريه، نستأجره، نسرقه إذا لزم الأمر[3].

في اليوم الثالث من كانون الثاني ١٩٨٠، قابل (بريجنسكي) الرئيس أنور السادات لمدة ثلاث ساعات ونصف، وفي اليوم التالي قابل الأمير فهد وليّ العهد

---

(١) محمد حسنين هيكل، المصدر السابق، ص٢٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٣٧.

السعودي والأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع، وفي اليوم الخامس من كانون الثاني وصل المستشار إلى إسلام آباد لمقابلة الرئيس الباكستاني ضياء الحق ليرتب الأرضية باسم الإسلام ضد الإلحاد[1].

باكستان، تختلف عن مصر أو المملكة العربية السعودية، فهي الآن أصبحت في مرمى المدفعية السوفييتية، إمكانياتها الاقتصادية ضعيفة، لا تجعلها مؤهلة لتحمل تبعات حركات المقاومة من أراضيها لفترة طويلة، جيشها المسلح بأسلحة قديمة أصبح في مواجهة العدو التقليدي الهند من الشرق وأفغانستان وجيش سوفيتي من الغرب، ولا وجود لحلف السنتو (الحلف المركزي) بعد أن نجحت ثورة إيران، ومع كل هذا فإن السوفييت أشاروا عليهم بالانتقام إذا ما حأولوا معأونة (المجاهدين الأفغان)، وعبّر عن ذلك الشيخ مفتي محمود رئيس التحالف الوطني وأمين عام جمعية علماء الإسلام بقوله «إن حكومة الاتحاد السوفييتي قد حذرتنا تحذيراً شديداً من مساعدة إخواننا المسلمين وهددتنا بحقها في غزو أراضينا بموجب معاهدة الدفاع المشترك مع الحكومة الأفغانية؛ كما لوحت الحكومة الأفغانية هي الأخرى بإثارة مشكلة بلوشستان المعلقة»[2].

عرضت الولايات المتحدة رفع حظر بيع السلاح إلى باكستان الذي بقي مفروضاً عليها بسبب البرنامج النووي الباكستاني، كما اقترح بريجنسكي تقديم مساعدات اقتصادية وعسكرية بشروط وجدت باكستان أنها لا تستطيع قبولها، ومنها إنشاء حلف إسلامي[3].

أغا شاهي مستشار ضياء الحق رفض هو الآخر مبلغ مائتي مليون دولار لأغراض عسكرية ومائتي مليون دولار للتنمية الاقتصادية، وقد أعلن الجنرال ضياء الحق أن المعونة التي تستطيع باكستان أن تحصل عليها من الدول الإسلامية تفوق المعونة

---

(١) المصدر السابق، ص٢٤٨.

(٢) محمود المردأوي، المرجع السابق، ص٥٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٧٢.

الأمريكية، وأن السوفييت جاهزين للتفاوض وتقديم مساعدات اقتصادية[1]، وأن باكستان ستلتزم بسياسة عدم الانحياز، ولن تقبل بقرارات جاهزة تتخذ في واشنطن[2].

هكذا بدا الموقف الباكستاني متشدداً لتحقيق مكاسب مالية وصلت إلى بابها، وكذلك تذكير الإدارة الأمريكية، كيف أنها أوقفت مساعداتها وأسلحتها عن شعب وجيش هما أحوج ما يكونا إليه، وبعد عقد المؤتمر الإسلامي الذي اكتمل على أرض اسلام آباد بداية عام ١٩٨٠، كانت قرارات المؤتمر شديدة، فقد أدانت الغزو السوفييتي بقوة، في حين كانت قرارات مؤتمر عدم الانحياز الذي عقد في الهند الحليف الستراتيجي للسوفيت أقل قسأوة، حيث طالب بسحب القوات السوفييتية واحترام استقلال أفغانستان[3].

وأخيراً وجدت الإدارة الأمريكية مخرجاً لإرضاء الحكومة الباكستانية، حيث تذرعت بالاتفاقية العسكرية المعقودة بين البلدين عام ١٩٥٩، وبموجبها تلتزم أمريكا بالدفاع عن الباكستان في حالة تعرضها لهجوم شيوعي واسع، والآن فإن التواجد السوفييتي على حدودها أصبح كافياً ليهدد كيانها فعقدت صفقة عسكرية بلغت قيمتها ٣.٢ مليار دولار وتضمنت تزويد باكستان بأربعين مقاتلة متطورة من طراز F–16، على أن يستغرق تجهيزها بضع سنوات. وفي المقابل لم تذعن الحكومة الباكستانية للوكالة الدولية للطاقة النووية بمراقبة منشآتها النووية، وإنها وبصبر وعزم رجالها وبمساعدة تقنية من الصين ودعم مالي سعودي وليبي تمكنت باكستان

---

(١) المصدر السابق، ص٧٣.

(٢) المصدر نفسه ص٢٣٧، تقدم السوفييت إلى باكستان لبناء جسر ضخم في (إقليم السند) كما لوحوا بإيقاف مساعدتهم الفنية اللازمة لاستمرار تشغيل صناعة الصلب الباكستانية إذا استمرت في نهجها المعادي لهم.

(3) Martin Ewans, op. cit, p. 209.

من إقامة مركزاً سرياً لتحضير اليورانيوم في كوهوتا وآخر في سيهالا وأنتجت كميات من البلوتونيوم كان كافياً لإنتاج الرادع النووي الإسلامي[1].

سياسة المحاور:

أدى التدخل السوفييتي وانتشاره في أفغانستان إلى بروز حقيقة هو أن أفغانستان تشغل موقعاً بالغ الأهمية بين محورين سياسيين متنافسين فيما بينهما هما:

أ. حلف هندي ـ سوفيتي.

ب. حلف باكستاني ـ صيني.

ويقدم هذا التقسيم نموذج تقليدي عن ميزان القوة الذي يقول (عدو عدوي صديقي) وأربع حالات من العدأوات سوفيتي ـ باكستاني، صيني ـ سوفيتي، هندي ـ باكستاني، وأخيراً صيني ـ هندي... ومن بين هؤلاء يوجد خصمين نوويين مرشحين ليكونا ضمن النادي النووي ومنهم دولة باكستان المسلمة التي أصبحت بين فكي كماشة (الاتحاد السوفييتي والهند)[2].

إن الميزان العسكري التقليدي الهندي ـ الباكستاني، وإن كان قد مال لصالح الهند، فإنه لم يصل بعد إلى نقطة الترجيح الكلي، وقد ولت الفترة الماضية التي كان بإمكان باكستان أن تحلم فيها بدفاع تعرضي (إجهاضي) تتمكن فيه وحدات تعبوية مدربة تدريباً (راقياً) أن تقوم بمباغتة عملياته لتعوض عن نقصها العددي والإمساك بالمبادئة الاستراتيجية. وهنا عندما نبسط خريطة مسرح العمليات بين الطرفين، فنجد على طول (١٦٠٠) كم، من الحدود المشتركة، أن هنا ثمة أرض وعرة في منطقة عمليات كشمير في قسمها الشمالي، في حين يتوفر عمق شاسع للمنأورة على جناح صحراء السند الجنوبي. وبالنسبة لباكستان فإن القاطع الأكثر وهناً في تخطيطها هو

---

(١) إسماعيل صبري مقلد، المصدر السابق، ص٢٣٢.

(٢) جيمس كيرن وفيليب كارير، المصدر السابق، ١٩٨٤، ص٤٢.

القسم الأوسط من جبهة البنجاب، وعلى هذا الأساس فإن قادة الجيش الباكستاني يبحثون دوماً عن أفضل السبل لتنفيذ دفاع متقدم بقطعات مدربة وهو إجراء ضروري لحماية عنق البلد الضيق، الذي يحتوي على خطوط المواصلات الشمالية فضلاً عن كثافته السكانية العالية[1]، وفي هذا الإطار بالذات شكّل المحور السياسي الهندي السوفييتي تهديداً خطيراً على أمن باكستان، مما جعلها تضاعف متطلبات الدفاع، ويقول قائد الجيش الباكستاني الجنرال (إسلام بيك) في هذا التطور غير المعلوم "إن انفتاح أربعلا فرق سوفيتية قريبة من حدود الباكستان مع إسناد جوي استراتيجي وتعبوي ينطلق من قواعد جوية في أفغانستان يمكنه أن يقلب الميزان العسكري على نحو حاسم[2]" وفي هذا الصدد فإن السوفييت وإدراكاً منه لضرورات الأمن الحاسمة، فقد كان قادراً على توجيه ضربة مميتة إلى ظهر الجيش الباكستاني الذي يشخص ببصره نحو الجهة المقابلة (الهند) ويقيناً أن المساهمة السوفييتية في كل نوع من أنواع التسليح التقليدي للقوة البرية تقلق ميزان الوضع التنافسي الهندي الباكستاني، وقد ظهرت مقولات وأحاديث مصدرها السوفييت وروجتها أجهزة الإعلام الهندية بضرورة تجزأة الباكستان ضمن تخطيط معد، وهي في هذا تتخذ ذريعة أن باكستان تغذي

---

(١) المصدر السابق، ص٤٣.

(٢) جيمس كرن، وفيليب كارير، المصدر السابق، ص٤٣؛ بلانس، تعبية السوفييت في أفغانستان، المجلة العسكرية، بغداد، ١٩٨٠، ص٢٣.

في مقابلة للرئيس الباكستاني ضياء الحق مع صحفي هندي، سأله عن رأيه بما قالت أنديرا غاندي، من أن تسليح الباكستان يهدد الهند، فأجاب الرئيس، إن نسبة قوتنا إلى قوة الهند نسبة واحد إلى سبعة من حيث عدد النفوس، فنحن مائة مليون والهند سبعمائة مليون، ونسبة قواتنا الجوية نسبة واحد إلى عشرة، وقواتنا البحرية بنسبة واحد إلى عشرين، ثم إن نصف الجيوش الهندية موجودة على حدود الباكستان، أي بحدود ثلاثة آلاف وخمسمائة دبابة، ومن غير المحتمل أن تستخدم هذه الأسلحة ضد بنغلادش أو النيبال.

إحسان حقي، المصدر السابق، ص٢٢٤.

ثورة السيخ وهي اتهامات زالت بشكل ملحوظ بعد مقتل أنديرا غاندي رئيسه وزراء الهند آنذاك[١].

إن تسليح الطرفين عقب الأحداث بلغ أشده في كل الأسلحة ولكنه على حساب شعبيهما الفقير الذي يعيش تحت عتبة الفقر، فالقوات المسلحة الهندية، كانت تعيش في ذلك الوقت عملية تحديث سريعة من خلال تقديم أسلحة متقدمة لعجلات المشاة من طراز BMP–1 وكذلك عجلات BRDM/2 وصواريخ موجهة ضد الدبابات من نوع (ميلان) وطائرات (MG–27) وسمتيات (M–8) و(M–24) وطائرات نقل (ANT–32) (ULU–76)، هذا وإن صناعة الدفاع الهندية المبرمجة قد دخلت في اتفاقيات إنتاج مشتركة يمكنها إنتاج دبابة (T–72) و(MIG–27) و(MIG–29) و(MIR–2000) وطائرات جاكوار وسمتيات اليوت الفرنسية[٢].

في الطرف الآخر، وعلى النقيض من ذلك، فإن باكستان افتقرت إلى صناعة دفاع كبير في ذلك الوقت، ولغاية عام ١٩٦٥ كانت الولايات المتحدة المجهز الرئيسي للأسلحة، ثم تحولت شطر السوفييت ثم غيّرت وجهها نحو الصين... وبموجب اتفاقية المساعدة الأمريكية لعام ١٩٨١ والبالغة (٣.٢) مليار دولار تم الاتفاق على تسليم الباكستان مجموعة من منظومات الأسلحة للطائرات (F–16) بالإضافة إلى ناقلات الأشخاص المدرعة من طراز (M–113) ومدفعية حديثة وصواريخ مسيرة لمقاومة الدبابات، غير أن هذه التحسينات سوف لن ترقى إلى مستوى الزيادة الهندية المتوقعة في الإطار الزمني نفسه، وعليه فإن رجحان ميزان القوى سيبقى لصالح الهند[٣]. ولهذا نجد وبسبب افتقار باكستان إلى صناعة دفاعية مستقلة سيجبرها على ولاءات مع هذا الطرف الدولي أو ذاك.

---

(١) تعبيه السوفييت في أفغانستان، المصدر السابق، ص٢٤.

(٢) ديفيد سي اسبي، الحرب مستمرة، أفغانستان، ١٩٨٢، مجلة الدفاع العالمية، عدد ت٢، ص٥٢.

(٣) ديفيد سي اسبي، المصدر السابق، ص٥٥.

إن الوجود العسكري السوفييتي في أفغانستان واقترابه من الحدود الباكستانية كان مبعث قلق لدى الدول الإسلامية والغربية على حد سواء ومبعث القلق هو أن لمنطقة جنوب آسيا تاريخ حافل في تسوية خلافاتهما عن طريق العنف. فالمجابهة المتواصلة بين الهند والباكستان قد أسفرت عن ثلاثة حروب ساخنة في أقل من أربعين سنة[1].

إن ارتقاء الهند إلى منزلة قوة إقليمية كبرى كانت دوماً على حساب الباكستان، فالمجابهة الأولى بين ١٩٤٧–١٩٤٨ أبلت باكستان بلاء حسناً باحتفاظها بالأراضي الحيوية والمهمة، لكن وادي كشمير أصبح من نصيب الهند. أما حرب ١٩٦٥ فكانت باهظة الكلفة للطرفين، وبرغم الأداء الضعيف للجيش الهندي، فإن ما كسبه الجيش الباكستاني من شهره في تلك الحرب خسروه في الحرب المعادة بعد ستِ سنوات بسبب تطورات الحرب في باكستان الشرقية التي أسفرت عن خسارة كبيرة وأسرى يقارب تسعون ألف أسير، وظهور بنغلادش كدولة جديدة[2].

بالنسبة للسوفييت ونظراً للظروف القاسية التي كانت تمر بها قواتها على أراضي مقفرة خالية باردة، تزداد عليها نسبة الخسائر، فقد أجرت تنسيقاً عالياً مع حليفتها الهند تجاه خصمها التقليدي الباكستان، فالسوفييت الذين كانوا يلاقون

---

(١) جيمس كيرن، وفيليب كارير، المصدر السابق، ص٤٤.

تشير التقارير المعتمدة أن عدد جنود الجيش الباكستاني يصل إلى ١.٦ مليون جندي ويملك (٤)آلاف دبابة و (١٢) ألف قطعة مدفعية و (٨) آلاف صاروخ مداها يصل إلى (١٢٠٠) كم ويضع قنابل نووية و (٦٧٥) طائرة و (٢٥٠) سفينة حربية و (٦) غواصات. أما في الهند فيصل تعداد جيشها إلى (٣) ملايين جندي و (٦٥٠٠ دبابة، (١٨) ألف قطعة مدفعية، (١٢) ألف صاروخ و (٢٧٥) قنبلة نووية و (٨٦٥) طائرة و (٣٢٥) سفينة حربية، حاملتي طائرات وثماني غواصات. مصطفى الدباغ، الصراعات الدولية الراهنة، ط١، الأردن، ٢٠٠٠، ص ١٦.

(٢) حسين عبد الجبار، الحرب الهندية الباكستانية ١٩٧١، الطبعة الأولى مترجم بغداد ١٩٧٢، ص١٠٧.

صعوبة في العثور على شيء ذو قيمة بسبب تبعثر الأهداف في أفغانستان، غير أن ما يغريهم هو كثرة معسكرات المقاومة الأفغانية عبر الحدود المباشرة، وهو ما يجذب المقاتلات لقصفها من الجو، في الطرف الآخر من الحدود، فقد وصلت أخبار عن تدفق أعداد كبيرة من الأسلحة إلى المقاومة الأفغانية عن طريق الصين، مما اضطر السوفييت للقيام بغارات تجريد ضد طرق التموين الأكثر وضوحاً، ذلك هو طريق (كراكورام) للنقل السريع الذي يربط ما بين الصين وباكستان[1].

إن الهجوم من الجو ضروري لأي محاولة للتخلص من البرنامج النووي الباكستاني... لكن معضلة الهند أو السوفييت في هذا الموضوع هو المقاومة الفعّالة لسلام الجو الباكستاني، ويبدو في حالة تعرض المفاعل الباكستاني لتعرض جوي منسق من السوفييت والهنود أي من (اتجاهين) فإنه سينهي فكرة انضباط طياري المقاتلات المعترضة الباكستانية[2]. حيث أن قيام المقاتلات بتحديد معدل طلعات الطرف المدافع، سيدفع الطيران الاستراتيجي السوفييتي بتوجيه ضربات مؤثرة ضد القواعد الجوية الباكستانية، وبالتالي تحقيق فائقية جوية ذات معنى، وبحملة كهذه

---

(١) جيمس كيرن وفيليب كارير، المصدر السابق، ص٤٥.

قال خبراء وعسكريون من حلف شمال الأطلسي North Atlantic Treaty Organization إن الغزو السوفييتي لا يمكن أن يكون طارئاً، بل هو يتعدى ذلك الهدف بغزو بحري يبدأ من جوار أفغانستان. وهناك تقرير سري صادر عن منظمة الناتو، إن البحرية التجارية السوفييتية قادرة على حمل خمسة وسبعون ألف جندي، وإن هناك أربعة سفن تستطيع كل واحدة منها أن تحمل مائتين وسبعين مصفحة في داخلها وثمانين مصفحة على سطحها، وفي ساعة واحدة تستطيع تفريغ حمولة ألفيّ طن من التجهيزات العسكرية، وتجد بلدان أوروبا الشرقية بأن الهدف بعد أفغانستان سيكون باكستان، إيران، يوغسلافيا، ولذلك بات العالم يدرك أن أمن مناطق مهمة في الشرق الأوسط مربوط بأفغانستان فتحرك المعسكر الغربي لضمان سلامة باكستان.
إحسان حقي، المصدر السابق، ص٢١٨.

(٢) جيمس كيرن، وفيليب كارير، المصدر السابق، ص٤٦.

تستطيع الهند والسوفييت عن طريق العمل المشترك من تحقيق ما لا يستطيع أي منهما تحقيقه على انفراد[1].

إن العمل المشترك يوفر حلاً أبعد طموحاً وأكثر ديمومة، وباكستان المجزأة عام ١٩٧١، لم تتعرض عاصمتها الجديدة إلى تهديد فعلي بالتجزئة إلى أن وقع الغزو السوفييتي لأفغانستان وليس واضحاً ما إذا كان الاتحاد السوفييتي أو الهند راغبين بزوال باكستان كدولة، بيد أن تصرفهما السابق المتمثل بإسناد السوفييت لانتفاضة حركة البلوش في أوائل عام ١٩٧٠[2]. والغزو الهندي لبنغلادش لا يلغي بالتأكيد إمكانية وقوع هذا الاحتمال. وإذا ما أقدم البلدان على شن صولة برية مشتركة ومتزامنة من اتجاهين متعاكسين، طبعاً عقب تعرض جوي مدمر، وهنا فإن الهنود ما كان عندهم غير الضغط من البنجاب باتجاه إسلام آباد أي على (عنق باكستان) واندفاع سوفيتي من خارج ممر (خيبر) فإنهم سيتمكنون من مسك الأرض الحيوية مستفيدين من سمتيات الهجوم لإعاقة وتأخير التقويات والمنأورة، فإن الباكستانيين سيضطرون بالنتيجة للقتال وظهورهم متقابلة وفي هذه الحالة ستكون الخيارات المتاحة للباكستانيين غير مقبولة لأنها ستكون إما أن يدافعوا في مكانهم مع توقع إحاطتهم بطوق يضيق عليهم باستمرار، أو أن ينسحبوا جنوباً ويتخلوا عن العاصمة وعن كشمير كما يمكن القول أن هناك إمكانية لشن هجوم مدرع عبر صحراء السند كما حدث في عام ١٩٧١ ليلتقي عند نهر (الهندوس) شمال كراجي مع حركة سوفيتية معاكسة خلال قاطع بلوشستان ذات الدفاعات الخفيفة، فإن ذلك سيقرر نهائياً مصير باكستان[3].

---

(١) المصدر السابق، ص٤٦.

(2) Seligs. Harrison, in Afghanistan's shadow: Baluch Nationalism and soviet temptation, p. 70; Stephen tanner, op. cit, p. 250.

(٣) حسين عبد الجبار، المصدر السابق، ص٨١.

إن حصيلة العدوان على باكستان ستمنح المعتدين فائدة استراتيجية، وباستخدام نهر (الهندوس) كحد فاصل أولي، في هذه الحالة ستتمكن حكومة الأفغان من إعادة تثبيت حق مطالبتها التاريخية بالحدود الشمالية الغربية من الأراضي الباكستانية، وسيتمكن السوفييت من النفوذ إلى جمهورية (بلوشستان) التي ستعطيهم حرية استخدام مرفأ مطل على المحيط الهندي. وتستطيع الهند إكمال مطلبها المنشود في كشمير وإدارة ما تبقى من باكستان كمنطقة حكم ذاتي[1].

وبالنسبة للصين، وحليفتها باكستان، فلا يمكن ترجمة قربها من منطقة المعركة المحتملة إلى قوة قابلة للانفتاح للوقوف مع شريكها، حيث يقع إقليم (سنكيانغ) قرب الحدود الباكستانية، ويفصلها سلسلة جبلية هائلة الارتفاع ولا توجد للصين في هذا الإقليم سوى عدد قليل من فرق المشاة وقوة جوية قديمة، وما لا تستطيع الصين توفيره قبل بدء الحرب لن يرتجى منها لاحقاً، علماً أن الطريق البري الوحيد المهم عسكرياً الذي يربط بين الصين وباكستان هو طريق (كاراكورام)[2].

---

(1) seligs. Harrison, op. cit, p. 75.

(٢) طريق كراكوم طوله (٨٠٠) كم، استغرق إنشاؤه (٢٠) سنة بجسور (٩٩) وقناطره التي تربو على ١٧٠٨ قنطره، ويعد هذا الطريق من أكثر الأهداف في العالم جاذبية للتجريد الجوي. جيمس كيرن، فيليب كارير، المصدر السابق، ص٥٠.

غير أن ذلك لا يعني تخلي الصين عن حليفتها باكستان في المحافل الدولية، فقد زار وزير الخارجية الصيني باكستان في اليوم الثالث والعشرين من كانون الثاني ١٩٨٠، وقبل أن يعود إلى بلاده قال في مؤتمر صحفي في كراجي، إن الصين ستقف وراء باكستان للحفاظ على وحدتها الإقليمية، ووصف الوضع بعد الغزو، بأنه توتر دولي سببه السوفييت وإن باكستان تواجه تهديداً لأمنها. إحسان حقي، المصدر السابق، ص٢٢٠.

إن النقطة المهمة هي ليست ما إذا كان السوفييت والهنود يريدون شن حملة كهذه، ولكن كيف يمكن تنفيذها عملياً، وإن الحملة السوفييتية ضد أفغانستان واحتلاله قد جعل من هذا المشهد احتمالاً قابلاً للتأمل لم يكن له وجود قبل عام١٩٧٩[1].

(١) المصدر نفسه، ص٥٣.